

الفصل الخامس

النهي عن الغلو في النبي صلى الله عليه
وسلم

obeikandi.com

المعنى اللغوي للغلو :

أما المعنى اللغوي للغلو: فجاء في مقاييس اللغة: الغين - واللام - والحرف المعتل - أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاورة قدر. يقال: غلا السعر يغلو غلاء، وذلك ارتفاعه. وغلا الرجل في الأمر غلوا، إذا جاوز حده. وغلا بسهمه غلوا، إذا رمى به سهماً أقصى غايته. وتغالى النبات ارتفع وطال.

وتغالى لحم الدابة: إذا انحسر عنه وبره، وذلك لا يكون إلا عن قوة وسمن وعلو... الخ (١) وفي التهذيب "... غلا السعر غلاء ممدود.

وغلا في الدين يغلو غلوا: إذا بوز الحد... " (٢).

وفي اللسان: "... أصل الغلاء: الارتفاع ومجاورة القدر في كل شيء. وغلا في الدين والأمر يغلو غلوا: جاوز حده.

وفي التنزيل:

{... لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} (٣) (النساء: ١٧١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " الغلو: هو مجاوزة الحد بأن يزداد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك " (٤).

التعريف الشرعي للغلو وموقف الشرع منه

الغلو في الشرع: هو مجاوزة حدود ما شرع الله سواء كان ذلك التجاوز في جانب الاعتقاد أو القول أو العمل.

وقد جاء ذكر لفظ الغلو في القرآن الكريم في موضعين وكان الخطاب فيهما للنصارى باعتبارهم أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف وأما الموضوعان:

(١) معجم مقاييس اللغة (٤ / ٣٨٧، ٣٨٨).

(٢) تهذيب اللغة (٨ / ١٩٥، ١٩٦).

(٣) لسان العرب (١٥ / ١٣١، ١٣٢) مادة (غلا).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٠٦).

فأحدهما: في قوله تعالى :

{يَتَأَهَّلَ الْكُتَبُ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقِنَهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ
فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ
وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } (النساء : ١٧١)

والوضع الثاني: قوله تعالى:

{قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكُتَبُ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ
قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ } (المائدة : ٧٧).

قال ابن جرير الطبري:

" يعني جل ثناؤه بقوله :

{يَتَأَهَّلَ الْكُتَبُ }

يا أهل الإنجيل من النصارى:

{...لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ }

يقول: " لا تتجاوزوا الحق في دينكم فتنفروا فيه، ولا تقولوا في عيسى غير الحق
فإن قيلكم في عيسى إنه ابن الله قول منكم على الله غير الحق، لأن الله لم يتخذ ولداً فيكون
عيسى أو غيره من خلقه ابنا .

{وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ }.

وأصل الغلو في كل شيء: مجاوزة حده الذي حده، ويقال منه في الدين قد غلا
فهو يغلو غلواً^(١).

وقال في تفسير آية المائدة: وهذا خطاب من الله تعالى ذكره، لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء الغالية من النصارى في المسيح
{يَتَأَهَّلَ الْكُتَبُ } يعني بالكتاب الإنجيل {...لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ }

(١) تفسير الطبري (٣٤/٦).

يقول لا تفرطوا في القول فيما تدِينون به في أمر المسيح، فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل فنقولوا فيه: هو الله أو هو ابنه، ولكن قولوا: هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه .

{...وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا ... } {المائدة: ٧٧}

يقول لا تتبعوا أيضا في المسيح أهواء اليهود الذين قد ضلوا قبلكم عن سبيل الهدى في القول فيه كما قالوا وتبتهتوا أمه كما يبهتونها بالفرية ... " (١).

وقال ابن كثير في تفسيره للآية الواردة في سورة النساء: " ينهي تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشباعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقا أو باطلا، أو ضلالا أو رشادا، أو صحيحا أو كذبا ولهذا قال الله تعالى :

{أَتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ... } (التوبة: ٣١) (٢).

وقال عند تفسير آية سورة المائدة: أي لا تتجاوزوا الحد في إتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهًا من دون الله وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديما ... " (٣).

والتأمل للنصوص القرآنية يجد أن النصارى لم يكتفوا بالغلو في المسيح ورفعوا إلى درجة الألوهية بل غلوا أيضا في حق أحبارهم ورهبانهم فأعطوهم حق التشريع والطاعة المطلقة والإتباع حتى فيما يخالف شرع الله وأحكامه. فكان الأحبار والرهبان يحرمون ما أحل الله ويحرمون ما حرم الله ويقررون شرائع وأحكاما ما أنزل الله بها من سلطان فتلقى النصارى ذلك كله بالقبول والطاعة.

(١) تفسير الطبري (٣١٦/٦).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥٨٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٢).

قال تعالى:

{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ }
(التوبة: ٣١)

فهم اتبعوهم فيما حللوا وحرّموا. ولهذا قال تعالى:

{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا } أي الذي إذا حرم شيئاً فهو الحرام وما حلله فهو الحلال وما شرعه اتبع، وما حكم به نفذ .

{لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } أي تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأنداد والأولاد لا إله إلا هو ولا رب سواه" (١).

ولم يقتصر غلو النصارى عند الحد، بل قدسوا أمواتاً كما قدسوا أحياءً فأقاموا على قبورهم الأضرحة وقدموا لهم القرابين فكان ذلك سبباً في لعنهم قال صلى الله عليه وسلم "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" (٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والنصارى أشد غلوا في ذلك من اليهود كما في الصحيحين: " أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت له أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما كنيسة بأرض الحبشة، وذكرتا من حسنهما وتصاوير فيها.

فقال: إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات بنو على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة" (٣).

والنصارى كثيراً ما يعظمون آثار القديسين منهم، فلا يستبعد أنهم ألقوا إلى بعض جهال المسلمين أن هذا قبر بعض من يعظمه المسلمون ليوافقوهم على تعظيمه. فالذين يعظمون القبور والمشاهد لهم شبه شديد بالنصارى (٤).

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤٩٢).

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٨٨.

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٨٨.

(٤) مجموع الفتاوى (٤٦٠، ٤٦١/٢٧).

فالنصارى أمة ضلّت وهلكت وكان سبب ضلالها وهلاكها غلوها
وقد جلى غلوها في عدة أمور منها:

- ١- غلوهم في نبي الله عيسى ورفعته إلى مكانة الألوهية.
- ٢- غلوهم في رهبانهم وصالحهم وذلك بإعطائهم حق التشريع في والتحريم، والعكوف على قبورهم وتقديسها بعد موتهم.
- ٣- ابتداعهم الرهبانية.

والله سبحانه وتعالى بذكره لأحوالهم في كتابه العزيز يحذرنا من الوقوع فيما وقعوا فيه، وفي هذا دعوة للاعتبار بالأُم السابقة ومعرفة سبب هلاكها وضرورة اجتنابه قال تعالى:

{لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ...} (يوسف: ١١١)

والغلو عند النصارى هدم أصلي الدين:

١- التوحيد

٢- الإتياع.

فهم هدموا الأصل الأول بجعلهم عيسى في مقام الألوهية. وهدموا الأصل الثاني بأن جعلوا لرهبانهم حق التشريع والتحليل والتحريم.

فانظر كيف كان الغلو سبباً لهدم الدين.

فإن المسيح قال لهم: {أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ} .. (المائدة: ٧٢)

وقال:

{إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي

مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} (الصف: ٦)

فلو امتثلوا أمره كانوا مطعين لرسول الله موحدين لله، ونالوا بذلك السعادة من الله في الدنيا والآخرة، ولكنهم غلوا فيه واتخذوه وأمه إلهين من دون الله، يستغيثون به وبغيره من الأنبياء والصالحين ويطلبون منهم ويشركون بهم، وكذبوا بالرسول الذي بشر به وحرفوا التوراة التي صدق بها وظنوا في ذلك أنهم معظّمون للمسيح وكان هذا من جهلهم

وضلالهم، فإنهم لو أطلعوه فيما دعاهم إليه لكان له مثل أجورهم، وكانت طاعتهم له والإقرار بعبوديته وبما بشر به فيه له ولهم من الأجر ما لا يحصيه إلا الله، ففوتوا هذا الأجر والثواب عليهم وعليه وله ولهم فيه الخير المستطاب واعتاضوا عن ذلك بما ضرهم في الدنيا والآخرة.

وإذا بين لهم قدر المسيح فقيل لهم :

{ مَا الْمَسِيحُ أَبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ^ص
كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي

يُؤَفِّكُونَ } (المائدة : ٧٥)

قالوا: إن هذا تنقص بالمسيح وسب له واستخفاف بدرجةه وسوء أدب معه بل قالوا هذا كفر وجدد لحقه، وسلب لصفات الكمال الثابتة له.

وهذا في الحقيقة إنما هو نقص لما في نفوسهم من الغلوفيه لا نقص لنفس المسيح الموجود في نفس الأمر.

وفي ذلك من الحمد له والمدح وإعظامه والإيمان به وإعطاءه الدرجة العلية ما ليس في الغلوفيه.

لأن في تقرير كمال عبوديته التي هي كمال الخلق، وهذا هو الكمال فأما الغلوفيه إلى حد الربوبية فذاك خيال باطل لا كمال حاصل وفي إثبات العبودية له، إيمان به وموافقة لخبره وأمره، فيحصل له بذلك من الخير والرحمة ما لا يحصل له بالغلوفيه، الذي هو كذب فيه مكذوب عليه ومعصية له وإشراك بالله، وليس في ذلك ما ينفعه ولا ما يرفعه بل في ذلك ضرر على المشركين المفتريين^(١).

ولم يقتصر الغلو على النصارى وحدهم بل كان واقعا في الأمم قبلهم فالغلو كان أول خطوات الإنحراف عن الدين القويم والوقوع في الشرك.

فقد روى الطبري بسنده عن عكرمة قال: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام"^(٢).

(١) الرد على البكري (ص ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) تفسير الطري (٩٩ / ٢٩).

فكان مبدأ الشرك في قوم نوح، وكان سببه غلوهم في الصالحين فقد روى البخاري في كتاب التفسير من صحيحه باب قوله تعالى :

{...وَدَا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوتَ وَيَعُوقَ وَكَسْرًا} (نوح: ٢٣)

عن ابن عباس أنه قال: " أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبت " (١).

فالغلو في الصالحين هو الطامة الكبرى والبلية العظمى التي جنحت بالبشرية عن جادة الحق والصواب إلى ظلمات الشرك والضلال باتخاذ أنداد لله من خلقه واعتقاد أنها تملك شيئاً من خصائص الإلهية.

قال ابن القيم: " ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في الخلق وإعطائه فوق منزلته، حتى جعل فيه حظ من الإلهية، وشبهوه بالله سبحانه. وهذا التشبيه الواقع في الأم هو الذي أبطله الله سبحانه ويحث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله (٢).

ولهذا نهى الشارع الحكيم عن الغلو بشتى صورته وأشكاله وحذر منه وذلك لما له من آثار سيئة على الدين ولما فيه من منافاة لعقيدة التوحيد وهدم لأصلي الدين:

التوحيد والإتباع.

ولقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الغلو في الدين وأخبر أنه سببا لهلاك من قبلنا من الأمم.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين" (٣).

(١) انظر فتح الباري (٨/ ٦٦٧).

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٢٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢١٥، ٣٤٧). والنسائي في السنن (٥/ ٨١، ٢). كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى. وابن ماجه في سننه، أبواب المناسك، باب قدر حصى الرمي (٢/ ١٨٣) ح ٣٠٦٤. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: رواه أحمد والنسائي وابن ماجه من حديث عوف بن أبي جميلة عن زيادة بن حصين عن أبي العالبيه عنه وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم. اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٠٦). وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٢٧٨) ح ١٢٨٣ وقال في تخريج السنة لابن أبي عاصم (٤/١) إسناد صحيح. وقد صححه ابن خزيمة والحاكم (٤/٦٦١) والذهبي والنووي وابن تيمية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقوله "إياكم والغلوف في الدين عام في جميع أنواع الغلوف في الاعتقادات والأعمال" (١).

وسبب قول النبي صلى الله عليه وسلم لهذه العبارة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن عباس غداة العقبة وهو على ناقته "القط لي حصى، فلقطت له سبع حصيات مثل حصى الخذف، فجعل يفضهن في كفه ويقول أمثال هؤلاء فارموا، ثم قال: أيها الناس إياكم والغلوف في الدين ... " الحديث.

فسبب ورود الحديث ينبهنا إلى أمر هام جدا وهو أن الغلوف قد يبدأ بشيء صغير ثم تتسع دائرته فتهلك بذلك أمم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو داخل فيه فالغلوف فيه: مثل رمي الحجارة ونحو ذلك، بناء على أنه بالغ في الحصى الصغار، ثم علل ذلك بأن ما أهلك. كان قبلنا إلا الغلوف في الدين كما تراه في النصارى (٢).

ولولم يرد في السنة إلا هذا الحديث لكفى به زاجرا ورادعا للأمة عن الوقوع في الغلوف، كيف والسنة مليئة بالأحاديث التي تحذر من الغلوف وتبين خطره وهلاكه.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هلك المتنطعون": قالها ثلاثا (٣).

قال النووي: "هلك المتنطعون": أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم (٤).

وقال أيضا: "المتنطعون: المتعمقون المشددون في غير موضع التشديد" (٥) فهذا الحديث موافق لما جاء في الحديث السابق من الإخبار بهلاك أصحاب الغلوف. وهناك أحاديث كثيرة نهى فيها النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم عن الغلوف في جوانب معينة من الدين نذكر اثنين منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٥٦).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٠٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون (٥٨/٨).

(٤) شرح النووي (٢٢٠/١٦).

(٥) رياض الصالحين باب الاقتصاد في الطاعة (ص ٨٨).

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها. فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدا.

وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ال فقال: " أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني " (١).

فسمى النبي صلى الله عليه وسلم الغلوفي جانب العبادات والسنن التي سننها لهم رغبة عن الشرع الذي جاء به، وتبرأ ممن هذه حاله، حتى وإن كان الدافع لذلك التقرب إلى الله تعالى ذلك لأن هذا الغلوفيه هدم للأصل الثاني من أصول هذا الدين ألا وهو الإلتباع فنحن مأمورون بالافتداء به صلى الله عليه وسلم والأخذ بسنته. والغلوفي هذا الجانب مناقض تماما لهذا الأصل، ولذلك فلا غرابة أن يتبرأ النبي صلى الله عليه وسلم ممن غلا في جانب ما سنه وشرعه للأمة.

لأنه لو فتح هذا الباب وولجته الأمة لأصبحت عبادة الله مجالا لأهواء الناس وعقولهم وبذلك يتلاشى دينها وتنطمس معالمه فتستحق بذلك غضب الله ومقته فتهلك كما هلكت الأم السابقة.

وعن أنس رضي الله عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال " ما هذا الحبل؟ " قالوا: هذا حبل زينب فإذا فترت تعلقت به.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد " (٢) وعند مسلم " حبل لزينب تصلي " .

(١) تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة. انظر: فتح الباري (٣٦١٣) ح ١١٥٠. وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومراجع الصلاة، باب أمر من نعس في صلاته ... (١٨٩/٢).

قال ابن حجر: "وفيه الحث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها..."^(١).

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته كذلك من الغلو في حقه صلى الله عليه وسلم. وذلك لما ينطوي عليه الغلو من الشر العظيم، ولما يعلمه صلى الله عليه وسلم من منزلته في قلوب المؤمنين.

فقد خشى صلى الله عليه وسلم أن يدفعهم حبهم وتعظيمهم له إلى رفعه فوق منزلته التي جعلها الله له وتشريكه مع الله في بعض ما هو حق لله. فحذرهم من الغلو في شخصه بأساليب مختلفة وذلك حماية منه لجناح التوحيد وقطعا لذريعة الشرك.

❖ وقد جاء تحذره تارة بأسلوب النهي الصريح.

❖ وتارة بالتجاءء إلى ربه ودعائه بأن لا يتحول قبره إلى وثن يعبد.

❖ وتارة بلعنة الغلاة الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

فمما ورد عنه قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فانما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله"^(٢).

قال ابن حجر: "الإطراء: المدح بالباطل تقول أطريت فلاناً: مدحته فأفترطت في مدحه"^(٣).

فمعنى الحديث: أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية، وإنما أنا عبد الله فصفوني بذلك كما وصفني به ربي، وقولوا عبد الله ورسوله.

فأبى عباد القبور إلا مخالفة لأمره، وارتكابا لنهييه، وناقضوه أعظم المناقضة وظنوا أنهم إذا وصفوه بأنه عبد الله ورسوله، وأنه لا يدعى ولا يستغاث به، ولا يندرله، ولا يطاف بحجرته، وأنه ليس له من الأمر شيء، ولا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، أن في ذلك هضما

(١) فتح الباري (٣/ ٣٧).

(٢) تقدم تخريجه ص ٦٢٦.

(٣) فتح الباري (٦/ ٤٩٠).

لجنابه وغضا من قدره، فرفعوه فوق منزلته، وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه، فسألوه مغفرة الذنوب، وتفريج الكرب وغير ذلك من الأمور^(١).
وقد ذكر شيخ الإسلام في كتاب تلخيص الاستغاثة^(٢) عن بعض أهل زمانه أنه جوز الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما يستغاث فيه بالله، وصنف فيه مصنفا.

وكان يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله. وحكي عن آخر من جنسه يباشر التدريس وينسب إلى الفتيا أنه كان يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر الله عليه.
ومن هؤلاء من يقول في قول الله تعالى :

{وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} {الأحزاب: ٤٢}

إن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يسبح بكرة وأصيلا.
ومنهم من يقول: نحن نعبد الله ورسوله فيجعلون الرسول معبوداً ويقول قائلهم: فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم فجعل الدنيا والآخرة من جوده، وجزم بأنه يعلم ما في اللوح المحفوظ^(٣).

فانظر إلى ما أدى إليه هذا الإطراء من صرف أمور قد اختص بها الرب عز وجل فصرفت للنبي صلى الله عليه وسلم.

ولكن ما على الرسول إلا البلاغ فقد سد النبي صلى الله عليه وسلم كل ذريعة مؤدية إلى الغلو والشرك حتى يبقى هذا الدين وسطا صافيا لا كدر فيه، وتبقى عقيدة التوحيد نقية قوية خالدة.

فلقد نهي الرسول الكريم عن المبالغة في مدحه لعلمه بأن هذه المبالغة بريد إلى الغلو ومدعاة للشرك والانحراف عن الطريق السوي.

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٧٢ - ٢٧٣).

(٢) الرد على البكري (ص ٢١٨).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢٧٣).

وهذا من الحرص الكامل للرسول صلى الله عليه وسلم على حماية التوحيد،
فبهذا النهي الشديد سد الرسول صلى الله عليه وسلم طريق الغلو.
والنهي عن المبالغة في الإطراء لا يعني التقليل من قدره وتوقيره فإن للتوقير
والتعظيم وسائله المشروعة والتي سبق ذكرها.

ولكن هناك أناس شق عليهم التوقير المشروع فلجأوا إلى التوقير الممنوع فنسجوا
قصائد مطولة أغرقوا فيها بالمديح الجاوز للحد والمنافي لقواعد التوحيد والذي لا يرضى به
الله ورسوله بل جاء التحذير منه بنص القرآن والسنة المطهرة.

"ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أحرص الخلق على تجريد التوحيد
حتى قطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات، حتى قال له رجل: ما شاء الله
وشئت، قال: "اجعلتني لله ندا؟ بل ما شاء الله وحده" (١).

❖ ونهى أن يحلف بغير الله، وأخبر أن ذلك شرك.

❖ ونهى أن يصلى إلى القبر أو يتخذ مسجداً أو عيداً أو يوقد عليه سراج، بل مدار

دينه على هذا الأصل- أي تجريد التوحيد- الذي هو قطب رحا النجاة، ولم يقرر
أحد ما قرره صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله وسد الذرائع المنافية له، فتعظيمه
صلى الله عليه وسلم بموافقتة على ذلك لا مناقضته فيه (٢).

والغلو بثنتى صورته وأشكاله مناف لأصلي التوحيد ويكفيك أن تعلم أن

سبب عبادة الأصنام هو الغلو في المخلوق، وإعطاؤه فوق منزلته، حتى جعل فيه حظ
من الإلهية وشبهوه بالله سبحانه، وهذا هو التشبيه الواقع في الأم الذي أبطله الله سبحانه
وبعت رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله. فهو سبحانه ينفي، وينهي، أن يجعل غيره
مثلاً له، وندا له وشبهها له. لا أن يشبه هو بغيره إذ ليس في الأمم المعروفة أمة جعلته سبحانه
مثلاً لشيء من مخلوقاته، فجعلت المخلوق أصلاً وشبهت به الخالق، فهذا لا يعرف
في طائفة من طوائف بني آدم.

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧)، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ص ٥٤٥ ح
٩٨٧.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٢٧٤.

وإنما الأول هو المعروف في طوائف أهل الشرك، غلوا فيمن يعظمونه، ويحبونه حتى شبهوه بالخالق وأعطوه خصائص الإلهية، بل صرحوا أنه إله، وأنكروا جعل الألهة إلهًا واحداً وقالوا:

{...وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ...} (ص: ٦)

وصرحوا بأنه إله معبود، يرجى، ويخاف، ويعظم، ويسجد له ويحلف باسمه وتقرّب له القرابين إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تنبغي إلا لله تعالى. فكل مشرك فهو مشبه لإلهه ومعبوده بالله سبحانه، وإن لم يشبه من كل وجه (١). فحقيقة الشرك هو التشبه بالخالق أو التشبيه للمخلوق به فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية. فإن من خصائص الإلهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنح، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده.

فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق، وجعل ما لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً -فضلاً عن غيره- شبيهاً لمن له الأمر كله، فأزمة الأمور كلها بيديه، ومرجعها إليه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع بل إذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد، وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد. فمن أقبح التشبيه: تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات. ومن خصائص الإلهية: الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه. وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده، والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب، كل ذلك عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون له وحده، ويمنع عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون لغيره. فمن جعل شيئاً من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثيل له ولا ند له، وذلك أقبح التشبيه وأبطله. ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده أنه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة.

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٢٦).

ومن خصائص الإلهية: العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما: غاية الحب، مع غاية الذل، هذا تمام العبودية، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين.

فمن أعطى حبه وذلّه وخضوعه لغير الله فقد شبهه في خالص حقه وهذا من المحال أن تجيء به شريعة من الشرائع، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل، ولكن غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق وعقولهم، وأفسدتها عليهم واجتالتهم عنها. ومضى على الفطرة الأولى من سبقت له من الله الحسنى فأرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه بما يوفق فطرهم وعقولهم فازدادوا بذلك نوراً على نور.

{...نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ...} (النور: ٣٥)

إذا عرف هذا فمن خصائص الإلهية السجود، فمن سجد لغيره فقد شبهه المخلوق به.

❖ ومنها المتوكل، فمن توكل على غيره فقد شبهه به.

❖ ومنها التوبة، فمن تاب لغيره فقد شبهه به.

❖ ومنها الحلف باسمه تعظيماً وإجلالاً له، فمن حلف بغيره فقد شبهه به. هذا في جانب التشبيه.

وأما في جانب التشبيه به: فمن تعاضم وتكبر ودعا الناس إلى إطرأته في المدح والتعظيم والخضوع والرجاء، وتعليق القلب به خوفاً ورجاءاً والتجاء واستعانة فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وإلهيته، وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان، ويذله غاية الذل ويجعله تحت أقدام خلقه. (١)

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال: "يقول الله عز وجل: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما عذبتة" (٢).

وإذا كان المصور الذي يصنع الصورة بيده من أشد الناس عذاباً يوم القيامة لتشبهه بالله في مجرد الصنعة، فما الظن بالتشبه بالله في الربوبية والإلهية؟ ففي الصحيحين عنه

(١) محمد بن خليفة بن علي التميمي، حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة، ص ٦٤٧ - ٦٦٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الكبر (٣٦/٨).

صلى الله عليه وسلم أنه قال: " قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقى، فليخلقوا ذرة، فليخلقوا شعيرة" (١).

فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو أعظم منها وأكبر وقال صلى الله عليه وسلم: "أشد الناس عذابا نُرَم القيامة المصورون يقال لهم أحيوا ما خلقتم" (٢) (٣).

بيان توسط السلف في حق النبي صلى الله عليه وسلم

إن مما امتاز به اتباع هذا الدين: الوسطية في كل شيء فلا إفراط ولا تفريط

قال تعالى:

{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ } (البقرة: ١٤٣)

قال ابن كثير: "والوسط هنا المراد به الخيار والأجود كما يقال قريش أوسط

العرب نسبا أي خيرها.

ولما جعل الله هذه الأمة وسطا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب" (٤).

ومن الأمور التي توسطت بها هذه الأمة توسطها في شأن الأنبياء بين اليهود

والنصارى.

فقد افترق اليهود والنصارى في الأنبياء: فاليهود جفوا عنهم فكذبوهم

وقتلوهم. والنصارى غلوا فيهم فأشركوا بهم حتى كفروا بالله.

أما هذه الأمة فقد توسطت بين الطائفتين فأمنت وصدقت بأنبياء الله ولم يتخذهم

أربابا من دون الله.

فالسلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ساروا في هذا

الشأن وفق نصوص القرآن والسنة الصحيحة شأنهم في ذلك شأنهم في سائر أمور هذا الدين

الاتباع وترك الابتداع.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب قول الله تعالى {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} فتح الباري (١٣/٥٢٨) ح ٧٥٥٩. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة (٦/١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة. فتح الباري (١٠/٨٢-٨٣) ح ٤٩٥٠-٤٩٥١، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة (١٦١٦).

(٣) الجواب الكافي (ص ١٥٩-١٦١).

(٤) تفسير ابن كثير (١/١٩٠).

فما نص عليه القرآن يجب الأخذ به والعمل به والحال نفسه ينطق على مانصت عليه السنة.

فقد نصت النصوص على أمور متعددة فيما يتعلق بشأن نبينا صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فمن أخذ بهذه الأمور جميعها وأمن بها فقط توسط ومن أخل بشيء منها فهو لا محالة واقع في أحد حالين إما الغلو أو التنقص.

ولما كان حال الغلو هو الأكثر خطرا على اتباع الرسل، فقد جاء التنبيه والتأكيد على بشريتهم في مواطن متعددة في كتاب الله العزيز منها:

١- التأكيد على بشرية الرسول وعبوديته لله تعالى:

قال تعالى:

{ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ... } { آل عمران : ٧٩ }

وقال تعالى :

{ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ... } { الكهف : ١١٠ }

وقال تعالى :

{...قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا } { الإسراء : ٩٣ }

وقال تعالى :

{ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ... } { الإسراء : ١ }

وقال تعالى :

{ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ... } { البقرة : ٢٣ }

وقال تعالى :

{...إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ... } { الأنفال : ٤١ }

وقال تعالى :

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا } { الكهف : ١ }

وقال تعالى:

{ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } (الفرقان: ١).

وقال تعالى:

{ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ } (النجم: ١٠).

وقال تعالى:

{ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ... } (الحديد: ٩).

وقال تعالى:

{ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ .. } (الفرقان: ٢٠).

٢- التأكيد على أن الرسل لا يملكون شيئاً من خصائص الألوهية والربوبية

قال تعالى:

{ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۗ إِنِ اتَّبَعُوا إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ ... } (الأنعام: ٥٠)

وقال تعالى:

{ قُلْ لَوْ أَن عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ } ﴿٥٨﴾ * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ ... } (الأنعام: ٥٨-٥٩)

وقال تعالى:

{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ۗ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } ﴿١٧٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۗ إِنَّ أَنَا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (الأعراف: ١٨٧-١٨٨)

وقال تعالى :

{ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا آيَةً مِنْ رَبِّهِ ^ط فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي

مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ } { يونس : ٢٠)

وقال تعالى :

{ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ... } { هود : ٣١)

وقال تعالى :

{ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا } { الجن : ٢١)

وقال تعالى :

{ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ... } { آل عمران : ١٢٨)

وقال تعالى :

{ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ... } { يونس : ٤٩)

وقال تعالى :

{ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ^ط... } { الأحقاف : ٩)

٣- التنبيه على ما كان من حال النصارى هع عيسى عليه السلام
وبيان كفرهم في ذلك:

قال تعالى :

{ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ^ع قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ

مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي

الْأَرْضِ جَمِيعًا ^ط... } { المائدة : ١٧)

وقال تعالى:

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ^ط وَقَالَ الْمَسِيحُ
يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ^ط إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ
عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ^ط وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا
يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ
إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ^ط وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٨﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا
رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ^ط كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ
أَنْظُرْ كَيْفَ نَبَّيْنَا لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٩﴾ قُلْ
أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَّا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا^ط وَاللَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨٠﴾ قُلْ يَا هَلْ أَكْتَبَ لَّا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءٍ
السَّبِيلِ { (المائدة: ٧٦ - ٧٧)

٤- بيان كفر من رفعهم إلى درجة الربوبية:

قال تعالى:

{وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا^ط أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ } (آل عمران : ٨٠)

وبجانب هذا التأكيد على بشرية الرسل والتحذر من رفعهم فوق مكانتهم
التي أعطاهم الله إياها ووصفهم بما ليزرلهم حق فيه.

أكد الإسلام وجوب الإيمان بهم وإكرامهم ورفع درجاتهم وجعلهم في مكانة ومنزلة سامية. فأوجب الإيمان بهم.

قال تعالى:

{ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۗ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } (البقرة: ٢٨٥).

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: "فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد فرد صمد، لا إله غيره ولا رب سواه.

ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء لا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته، ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين" (١). وفي مقابل ذلك فقد عد تكذيب واحد منهم كفراً ولو ادعى الإيمان بالله ورسله جميعاً إلا ذلك، فإيمان من هذا حاله إيمان زائف لا وزن له ولا خير فيه وصاحبه موسوم بالكفر.

قال تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۗ

(النساء: ١٥٠ - ١٥١)

(١) تفسير ابن كثير (٣٤٢/١).

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: "والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تدين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيماناً شرعياً إنما هو عن غرض وهوى وعصبية"^(١).

وبهذه الوسطية تمسك السلف الصالح ومن سار على نهجهم فالأنبياء وعلى رأسهم نبينا صلوات الله عليهم أجمعين بشر مثلنا فضلهم الله واصطفاهم واختارهم وشرفهم بحمل الرسالة وتبليغها إلى الناس، وأوجب علينا لهم من الحقوق ما سبق ذكره، وكذلك جعل لنا عليهم من الأمور والحقوق التي تطلب منهم، "فالأمر نوعان:
النوع الأول: نوع يطلب لنبينا منا ويجب له علينا.

والنوع الثاني: نوع يطلب لنا منه سواء أوجب عليه أو لم يجب. فالواجب له علينا من الحقوق بعد الموت الإيمان به ومحبته ونصره وتعزيزه وتوقيره وطاعة أمره واتباع سنته وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه.

هذا بالنسبة لما يتعلق بالنوع الأول. أما ما يتعلق بالنوع الثاني: فتحقيق ذلك أن الله أمره بأشياء منها ما هو حق لله. ومنها ما هو حق للناس. والأمر تارة يكون أمر إيجاب، وتارة أمر استحباب.

وكل ما أمر به مما فيه نفع للخلق ففيه حق لهم عليه كتبليغهم وتعليمهم والبيان لهم وأمرهم بكل معروف ونهيهم عن كل منكر، وحضهم على كل ما يقربهم إلى الجنة ونهيهم عن كل ما يبعدهم عنها وتبيين كل ما يحتاجون إليه وأمثال ذلك.

وقد فعل ذلك وتركهم على البيضاء ليلها كنهارها، وما طائر يقرب جناحيه إلا ذكر لهم منه علما بأخباره وأوامره ونواهي.

وكذلك كان يقوم بأخذ الصدقة من أغنيائهم وردها على فقرائهم، وإنصاف مظلومهم من ظالمهم، وإطعام جائعهم، وعيادة مريضهم، والصلاة على ميتهم، وأمثال ذلك من أنواع إحسانه إليهم في جميع مصالح الدنيا والآخرة.

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٧٢).

فاجتمعت له صفات الكمال المتفرقة في غيره من الرسل والأنبياء وولاية الأمر

وغيرهم.

وكان له من خصائص النبوة والرسالة ما لم يشركه فيه أحد بعده، وكان يقوم بالإمامة في الصلاة والإمارة في الغزو وإرسال البعث وعقد الألوية والشعائر في الحروب وإقامة الحدود وإيصال الحقوق وقسم المواريث والمغانم والفيء والصدقات، وتعليمهم ما يؤمرون به مما في القلوب من المعارف والأحوال، أو ما يقوم بالأبدان من الأقوال والأعمال، وأفناهم فيما ينوبهم من المسائل، والحكم بينهم فيما يتنازعون فيه من القضايا وتعبير الرؤيا وما كان وما يكون من أمر الدنيا والآخرة، وصفات الرب، وملأئكته، وأمر الآخرة والجنة والنار إلى غير ذلك. فهذه الأمور التي كان مأموراً بها أمر إيجاب أو أمر استحباب وكانت حقا عليه للخلق انتهت بموته فلم يبق عليه منها شيء.

كما أدى حق الله الذي أمره به، فلم يبق عليه منه شيء، فجاهد في الله ونصح الأمة، وعبد ربه حتى أتاه اليقين.

وأما ما كان حقاله على الأمة ومنفعته في الحقيقة تعود عليهم، والله تعالى يثيبه بما يعملون به من طاعته مثل ثوابهم، يستجيب فيه صالح دعواهم فهو في الحقيقة حق الله وان كان فيه حق للرسول فإن الله هو الذي أمرهم به الرسول، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله.

فكل ما أمرهم به الرسول من واجب ومستحبا فالله

أمرهم به.

❖ وإذا أطاعوا الله ورسوله فأجرهم على الله.

❖ وإذا عصوا الله ورسوله فحسابهم على الله.

قال تعالى :

{...فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} (الرعد : ٤٠)

وقال تعالى:

{ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿١٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿١٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿١٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿١٦﴾

(الغاشية : ٢١ - ٢٦)

وقال تعالى:

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ

الْمُبِينُ} (التغابن: ١٢)

ثم قال :

{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} (التغابن: ١٣)

فأمر بطاعته وطاعة رسوله لأن طاعته طاعة لله.

وأمرهم بالتوكل عليه وحده، وطاعة الرسول هي عبادة لله وحده والأمر والمعنى المتقدم من أن الرسول ليس عليه إلا ما أمر به من البلاغ والبيان والجهاد وليس عليه جزاء العباد ولا حسابهم ولا هدايتهم قد كرر في القرآن في مواضع. والحق الذي لله وللرسول باق بعد موت الرسول، وكذلك ما كان من حقوقه التي يمكن بقاؤها كالصلاة عليه والتسليم والتعزير والتوقير والمحبة وغيرها فهي لم تنقص بعد موته بل توكدت وقويت، بل حقوقه عليها بعد موته أكمل منها في حياته.

فمن ذلك أن من تنقصه في حياته أوسبه فإنه كان له صلى الله عليه وسلم يعفو

عن حقه.

فأما بعد موته فليس لأحد أن يعفو عن حقه ولا يسقط وكذلك في مغيبه. فعلياً أن نقوم بحقوقه الواجبة علينا في حال مماته ومغيبه أكثر مما علينا أن نقوم بها في حياته وحضوره.

وتلك الحقوق علينا له، وإذا فعلناها كانت عبادة منا لله، أجزنا فيها على الله وهي مما يزيد الله بها من فضله من جهة امتثالنا لما أمرنا به، وهو داعينا، وكلما أطعنا كان له مثل أجورنا، ومن جهة ما يصل إليه من الرحمة باستجابة الله دعاء الأمة، مع ما يزيد الله إياه من فضله. وهذه الحقوق الثابتة بعد موته هي تبع لرسالته فإنه هو السفير والواسطة بيننا ولون الله تعالى في تعليمنا وانتفاعنا بما علمنا من علم الله وخبره وفي أمرنا وإرشادنا إلى ما أمر الله به وأحبه ورضيه وبذلك حصل لمن آمن به واتبعه سعادة الدنيا والآخرة.

بل أعظم نعمة أنعم الله بها على المؤمنين أن أرسله إليهم وأنزل عليه الكتاب ومنَّ عليهم باتباعه. فليس في الدنيا خير أعظم من هذا^(١).

وبعد فهذا نموذج من فهم السلفي لنوع العلاقة التي تربط الأمة بنبيها وهو فهم أوجبته النصوص الشرعية وأكدته وأوامر فمحتة ورسمته، فليس لنا أن نحيد عنه أو نبذل فيه. وهو فهم أعطى لكل ذي حق حقه كما أوجب ربنا وشرع في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فحق الله هو توحيد، تجريد العبادة له تبارك وتعالى. وحق الرسول الإيمان به وطاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره والصلاة والسلام عليه إلى غير ذلك مما سبق ذكره.

وعن هذا التوازن في وضع الأمور في نصابها الذي أوجبه الله تعالى علينا يقول ابن القيم: "والفرق بين تجريد التوحيد وبين هضم أرباب المراتب أن تجريد التوحيد أن لا يعطى الخلق شيئاً من حق الخالق وخصائصه، فلا يعبد، ولا يصلى له ولا يسجد ولا يحلف باسمه، ولا يندرله، ولا يتوكل عليه، ولا يؤله ولا يقسم به على الله ولا يعبد ليقرب إلى الله زلفى، ولا يساوى برب العالمين في قول قائل: ما شاء الله وشئت وهذا منك ومن الله، وأنا بالله وبك، وأنا متوكل على الله وعليك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض، وهذا من صدقاتك وصدقات الله، وأنا تائب إلى الله وإليك، وأنا في حسب الله وحسبك، فيسجد للمخلوق كما يسجد المشركون لشيوخهم يخلق رأسه له، ويحلف باسمه، وينذر له، ويسجد لقبه بعد موته، ويستغيث به في حوائجه ومهمات، ويرضيه بسخط الله، ولا يسخطه في رضا الله، ويتقرب إليه أعظم مما يتقرب إلى الله ويحبه ويخافه ويرجوه أكثر مما يحب الله ويخافه ويرجوه أو يساويه.

فإذا هضم الخلق خصائص الربوبية، وأنزله منزلة العبد المحض الذي الأ يملك لنفسه فضلاً عن غيره ضرراً ولا نفعاً ولا مؤثراً ولا حياة ولا نشوراً لم يكن هذا تنقصاً له ولا خطأً من مرتبته ولو رغم المشركون.

(١) الرد على البكري (ص ١٠٨ - ١١٢) بتصرف يسير.

وقد صح عن سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه أنه قال:
"لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله
ورسوله" (١).

❖ وقال صلى الله عليه وسلم: "لا تتخذوا قبوري عيداً" (٢).

❖ وقال صلى الله عليه وسلم: "اللهم لا تجعل قبوري وثناً يعبد" (٣).

❖ وقال صلى الله عليه وسلم: "لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا
ما شاء الله ثم شاء فلان" (٤).

وعن عدى بن حاتم أن رجلاً خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: "بئس الخطيب أنت قل ومن يعص الله ورسوله" (٥).

وقال له رجل: ما شاء الله وشئت. فقال: "أجعلتني لله ندا؟" (٦).

وقال له رجل قد أذنب: الله إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد. فقال: "عرف
الحق لأهله" (٧).

وقد قال الله له:

{لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ...} {آل عمران: ١٢٨}

وقال:

{... قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ...} {آل عمران: ١٥٤}

(١) تقدم تخريجه

(٢) تقدم تخريجه

(٣) تقدم تخريجه

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨). وأخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب
لا يقال خبثت نفس (٥٠٩/ ٢٥٩) ح ٤٩٨٠. وأخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب لا يقال خبثت
نفس (٥٠٩/ ٢٥٩) ح ٤٩٨٠. وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، باب النهي أن لا يقال خبثت نفس
(٥٠٩/ ٢٥٩) ح ٤٩٨٠. وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، باب النهي أن يقال ما شاء الله وشاء فلان
(ص ٥٤٤) ح ٩٨٥. وقال النووي: رواه أبو داود بإسناد صحيح. رياض الصالحين (ص ٦١١).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطة (٣/ ١٢-١٣).

(٦) تقدم تخريجه

(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٤٣٥).

وقال:

{ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ... } (يونس: ٤٩)

وقال:

{ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا } قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ

ضَرًّا وَلَا رَشَدًا { (الجن: ٢١- ٢٢)

أي لن أجد من دونه من ألتجئ إليه وأعتمد عليه. وقال لابنته فاطمه وعمه العباس وعمته صفية: "لا أملك لكم من الله شيئاً" (١) وفي لفظ: "لا أعني عنكم من الله شيئاً" (٢).

فعظم ذلك على المشركين بشيوخهم وأهنتهم، وأبوا ذلك كله، وادعوا لشيوخهم ومعبوديهم خلاف هذا كله، وزعموا أن من سلبهم ذلك فقد هضمهم مراتبهم وتنقصهم وقد هضموا جانب الألوية غاية الهضم وتنقصوه فلهم نصيب وافر من قوله تعالى:

{ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ

الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } (الزمر: ٤٥) (٣)

وقال أيضا رحمه الله في قصيدته النونية المسماة بالكافية الشافية

في الانتصار للفرقة الناجية:

يامن له عقل ونور قد غدا ... يمشي به في الناس كل زمان
لكننا قاننا مقالة صارخ ... في كل وقت بينكم بأذان
الرب رب والرسول فعبدده ... حقا وليس لنا إله ثان
فلذلك لم نعبده مثل عبادة الرحـ ... ممن فعل المشرك النصراني
كلا ولم نغلو الغلو كما نهى ... عنه الرسول مخافة الكفران

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب من انتسب لأبائه في الإسلام والجاهلية. فتح الباري (٥٥١/٦) ح ٢٥٢٧، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (١٣٣/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب. انظر فتح الباري (٣٨٢/٥) ح ٢٧٥٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (١٣٣/١).

(٣) الروح لابن القيم (٧٦٦/٢، ٧٦٧).

... الله حق لا يكون لغيره
 ... لا تجعلوا الحقين حقاً واحداً
 ... فالحج للرحمن دون رسوله
 ... وكذا السجود ونذرنا ويميننا
 ... وكذا التوكل والإنابة والتقى
 ... وكذا العبادة واستعانتنا به
 ... وعليهما قام الوجود بأسره
 ... وكذلك التسبيح والتكبير والتهليل
 ... لكنما التعزير والتوقير
 ... والحب والإيمان والتصديق لا
 ... هذى تفاصيل الحقوق ثلاثة
 ... حق الإله عبادة بالأمر لا
 ... من غير إشراك به شيئاً هما
 ... ورسوله فهو المطاع وقوله المقبول
 ... والأمر منه الحتم لا تخيير فيه
 ... من قال قولاً غيره قمنا على
 ... إن وافقت قول الرسول وحكمه
 ... أو خالفت هذا رددناها على
 ... أو أشككت عنا توقفتنا ولم
 ... هذا الذي أدى إليه علمنا
 ... فهو المطاع وأمره العالى على
 ... وهم المقدم في محبتنا على
 ... وعلى العباد جميعهم حتى على
 ... ونظير هذا قول أعداء المسيح
 ... اننا نتقصنا المسيح بقولنا
 ... لو قلت ولد إله خالق
 ... وكذلك أشباه النصارى مذغلوا
 ... صاروا معادين الرسول ودينه

... ولعبده حق هما حقان
 ... من غير تمييز ولا فرقان
 ... وكذا الصلاة وذبح ذي القربان
 ... وكذا مثاب العبد من عصيان
 ... وكذا الرجاء وخشية الرحمن
 ... إياك نعبد ذاك توحيدان
 ... دنيا وأخرى حبذا الركنان
 ... حق آلهما السديان
 ... حق للرسول بمقتضى القرآن
 ... يختص بل حقان مشتركان
 ... لا تجهلها يا أولى العدوان
 ... بهوى النفوس فذاك للشيطان
 ... سببا النجاة فحبذا السببان
 ... إذ هو صاحب البرهان
 ... عند ذي عقل وذو إيمان
 ... أقواله بالسير والميزان
 ... فعلى الرؤوس تشال كالتيجان
 ... من قالها من كان من إنسان
 ... نجزم بلا علم ولا برهان
 ... وبه ندين الله كل أوان
 ... أمر الورى وأمر ذى السلطان
 ... الأهلين والأزواج والولدان
 ... النفس التي قد ضمها الجنان
 ... من النصارى عابدى الصلبان
 ... عبد وذلك غاية النقصان
 ... وفيتموه حقه بوزان
 ... في دينهم بالجهل والطغيان
 ... في صورة الأحاب والإخوان

فانظر إلى تبديلهم توحيدده ...
 وانظر إلى تجريدته التوحيد من ...
 واجمع مقاتلهم وما قد قاله ...
 عقل وفطرتك السليمة ثم زن ...
 فهناك تعلم أي حزبينا هو ...
 رامي البريء بدائه ومصابه ...
 كمعير للناس بالزغل الذي ...
 يا فرقة التنقيص بل يا أمة الدعوى ...
 والله ما قدمتم يوماً مقالته ...
 والله ما قال الشيخ وقال ...
 والله أغلاط الشيوخ لديكم ...
 ولذا قضيتم بالذي حكمت به ...
 والله إنهم لديكم مثل معصوم ...
 تبأ لكم ماذا النقص بعد ذا ...
 والله ما يرضيه جعلكم له ...
 وكذلك جعلكم المشايخ جنة ...
 والله ما عظمتوه طاعة ...
 أني وجهلكم به وبدينه ...
 أوصاكم أشياخكم بخلافهم ...
 خالفتم قول الشيوخ وقوله ...
 والله أمركم عجيب معجب ...
 تقديم آراء الرجال عليه مع ...
 كفرتم من جرد التوحيد جهلاً ...
 لكن تجردتم لنصر الشرك والبدع ...
 والله لم نقصد سوى التجريد للتوحـ ...
 ورضى رسول الله منا لا غلـ ...
 والله لو يرضى الرسول دعائنا ...
 والله لو يرضى الرسول سجودنا ...

بالشرك والإيمان بالكفران ...
 أسباب كل الشرك بالرحمن ...
 واستدع بالنقاد والوزان ...
 هذا ولا تطغ في الميزان ...
 المتنفص المنقوص ذو العدوان ...
 فعل المباغت أوقح الحيوان ...
 هو ضربه فاعجب لذا البهتان ...
 بلا علم ولا عرفان ...
 على التقليد للناسان ...
 إلا كنتم معهم بلا كتمان ...
 عين الصواب ومقتضى البرهان ...
 جهلاً على الأخبار والقرآن ...
 وهذا غاية الطغيان ...
 لو تعرفون العدل من نقصان ...
 ترسوا لشرككم وللعنوان ...
 لخلافه يشهده أولو الإيمان ...
 ومحبة يفرقة العصيان ...
 وخلافكم للوحي معلومان ...
 لوفاقه في سالف الأزمان ...
 فغدا لكم خلفان متفقان ...
 ضدان فيكم ليس يتفقان ...
 هذا الغلو فكيف يجتمعان؟ ...
 منكم بحقائيق الإيمان ...
 المضلة في رضى الشيطان ...
 يد ذاك وصية الرحمن ...
 هو الشرك أصل عبادة الأوثان ...
 إياه بادرنا إلى الإذعان ...
 كنا مخر له على الأذقان ...

والله ما يرضيه منا غير إخـ ... — لاص وتحكيم لذا القرآن
ولقد نهى ذا الخلق عن إطرائه ... فعل النصارى عابدي الصلبان
ولقد نهانا أن نصير قبره ... عيدا حذار الشرك بالرحمن
ودعا بأن لا يجعل القبر الذي ... قد ضمه وثما من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه ... في عزة وحماية وصيان
ولقد غدا عند الوفاة مصرحا ... باللعن يصرخ فيهم بأذان
وعني الألى جعلوا القبور مساجدا ... وهم اليهود وعابدوا للصلبان
والله لولا ذلك أبرز قبره ... لكنهم حجبوه بالحيطان
قصدوا إلى تسنيم حجرته ليمتتـ ... مع السجود له على الأذقان
قصدوا موافقة الرسول وقصده ... التجريد للتوحيد للرحمن^(١)

نماذج من الغلو الحاصل في شأن النبي صلى الله عليه

وسلم...

قال الله تعالى:

{...فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} {الرعد: ٤٠}

وقال تعالى:

{قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ^ط...} {الأحقاف: ٩}

وقال تعالى:

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ^ط فَمَن كَانَ يَرْجُوا

لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ^ط أَحَدًا} {الكهف: ١١٠}

وقال تعالى:

{لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ...} {آل عمران: ١٢٨}

(١) محمد بن خليفة بن علي التميمي ، حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة ، ص ٦٩٥ - ٧١٠ .

وقال تعالى:

{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ} (الأنعام: ٥٠)

وقال تعالى:

{...وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا
نَذِيرٌ وَنَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (الأعراف: ١٨٨)

وقال تعالى:

{قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا} ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا
رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُخَيِّرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾
إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَتِهِ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} (الجن: ٢٠-٢٣)

برغم هذه الآيات البينات والبراهين الواضحات التي تبين وتفصل بين ما هو حق
لِلرَّسول وما ليس له بحق، وما يملكه الرَّسول وما لا يملكه وأمثالها في القرآن الكريم كثير
جدا.

يأبى أناس إلا معصية الله ورسوله ومخالفة ما جاءت به النصوص؛ إتباعا
لأهوائهم وسلوكا لسبيل الشيطان، فقد علوا في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتنوع غلوهم
وتفاوتت حتى وصل في كثير من أنواعه إلى درجة الإِشراك بالله تعالى.

وسأذكر في هذا الفصل نماذج من هذا الغلو الحاصل مع الإِشارة إلى وجه مخالفتها
للنصوص الشرعية والرد عليها.

نماذج من الغلو الحاصل في شأن النبي صلى الله عليه وسلم

أ- ما يسمى بـ (الحقيقة المحمدية):

وهي أسطورة من أساطير الصوفية، نسجها خيالهم المريض، وأوهامهم الفاسدة فهي كذبة ليس لها رصيد من الواقع، بل هي مناقضة تمامًا لما أخبر به الله تعالى وقرره في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم. أما عن فحوى هذه الأسطورة فيقول قائلهم: "اعلم أنه لما تعلق إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها ... ثم انبخت منه صلى الله عليه وسلم عيون الأرواح فهو الجنس العالي على جميع الأجناس والأب الأكبر لجميع الموجودات" (١).

الموجودات" (١).

ويقول آخر: "اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسماوات وأراضين وجنات وحجبا وما فوقها وما تحتها إذا اجتمعت كلها وجدت بعضا من نور النبي وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت وتساقت" (٢).

وفي هذا يقول شاعرهم:

أتشاك نورا ساطعا قبل الورى ... فردا لفرد، والبرية في عدم
ثم استمد جميع مخلوقاته ... من نورك السامي، فيا عظم الكرم
فلذا إليك الخلق تفزع كلهم ... في هذه الدنيا، وفي اليوم الأهم
وإذا دعوتهم كربة فرجتها ... حتى سوى العقلاء في ذاك انتظم (٣)

وهذا الزعم الباطل تضمن ثلاث دعاوى كلها كذب وافتراء.

الدعوى الأولى: دعوى أن النبي صلى الله عليه وسلم خلق من نور رب العالمين.

(١) الأنوار المحمدية (ص ٩).

(٢) هذه هي الصوفية (ص ٨٧).

(٣) الأبيات لأحمد بن عبد المنعم الحلواني من قصيدته المستجيرة (نقلا عن كتاب هذه الصوفية) (ص ٨٧).

الدعوى الثانية: أنه وجد قبل خلق آدم.

الدعوى الثالثة: أن الأشياء خلقت منه.

وكل دعوى من هذه الدعوى هي أكذب من أختها، وقد قال بها جميعاً بعض الغلاة المنتسبين إلى الإسلام مضاهاة لقول النصارى في عيسى، ويروون في ذلك أحاديث وكلها كذب، فمن هؤلاء الغلاة من يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قال إني كلى بشر فقد كفر، ومن قال لست ببشر فقد كفر" وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم بالحديث^(١).

ومنهم من يروى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء؟ قال: يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي، فلما أراد أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول السموات، ومن الثاني الأرضين ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربع أجزاء فخلق من الأول أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله تعالى ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله"^(٢).

وهذا الحديث باطل قال عنه السيوطي: "ليس له إسناد يعتمد عليه"^(٣).

ولا يخفى على من له أدنى معرفة بنصوص القرآن والسنة ما في هذا الخبر المكذوب من المخالفات والمغالطات، ولا يشك طالب علم في وضعه واختلاقه. وكذلك مما يروونه "كنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين".

(١) الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح (٢/ ٢٠٠ - ٢٠١) بتصرف.

(٢) الأنوار المحمدية (ص ١٣).

(٣) الحاوي للفتاوى (١/ ٣٢٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذا مما لا أصل له لا من نقل ولا من عقل فإن أهدأ من المحدثين لم يذكره، ومعناه باطل فإن آدم لم يكن بين الماء والطين قط فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد.

ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حينئذ موجوداً وأن ذاته خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة مثل حديث فيه "أنه كان نوراً حول العرش، فقال: يا جبريل أنا كنت ذلك النور"^(١).

ومن العجيب أن كثيراً من الناس صاروا يتناقلون مثل هذه الأخبار المفتراة حتى أصبحت عندهم عقيدة راسخة في قلوبهم.

ومما يبين كذب هذه الدعاوى ويظهر زيفها مخالفتها لنصوص الكتاب والسنة.

فقد أخبرنا عز وجل عن أصل ما خلق منه الإنس والجن فقال تعالى :

{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٥﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ؛

(الرحمن: ١٤ - ١٥)

والنبي صلى الله عليه وسلم بشر خلق ما خلق منه باقي البشر فلا

ميزة له في هذا الشأن عن باقي البشر قال تعالى :

{...قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} (الإسراء: ٩٣)

وقال تعالى:

{قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِّنَ الرُّسُلِ ...} (الأحقاف: ٩).

والآيات في هذا الشأن، وفي شأن خلق السموات والأرض وكذا الأحاديث الثابتة

كثيرة وكلها تخالف هذا الخبر المذكور وتبين زيفه وبطلانه^(٢).

ب- دعوى أن الدنيا خلقت من أجل النبي صلى الله عليه وسلم:

(١) الرد على البكري (ص ٨-٩). حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة -

(٢/١٤٤)

(٢) انظر في هذا الشأن رسالة تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق.

وفي هذا يقول قائلهم وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم^(١).

وقول الآخر ممن هو من نقطة وشكله لولاه ما خلقت شمس ولا قمر ولا نجوم ولا لوح ولا قلم^(٢).

ويستند هؤلاء على أحاديث موضوعة وأخبار مكذوبة منها حدثا "لولاك ما خلقت الأفلاك" وهو موضوع^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوحى الله إلى عيسى يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت جنة ولا نار... «(٤)».

وهذه الأحاديث الموضوعة وأمثالها لا يمكن أن يعول عليها في إثبات أمر شرعي كهذا. أضف إلى ذلك مخالفتها للشرع فالذي تدل عليه النصوص الشرعية أن الله عز وجل إنما خلق الجن والإنس لغاية ذكرها في القرآن الكريم حيث قال عز وجل :

{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } (الذاريات: ٥٦)

قال ابن كثير: "ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبده وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ومن عصاه عذبه أشد العذاب"^(٥).

وقال تعالى :

(١) ديوان البوصيري (ص ٢٤٠). تنبيه الحذاق (ص ٢٧).
(٢) تنبيه الحذاق (ص ٢٧). حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة - (٢/ ٧١٥).
(٣) قاله الصغاني في الأحاديث الموضوعة (ص ٧)، وانظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني (ص ٣٢٦) وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني رقم ٢٨٢.
(٤) لا أصل له مرفوعاً إنما أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/ ٦١٤، ٦١٥) من طريق عمرو بن أوس الأنصاري ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: فذكره موقوفاً وقال: "صحيح الإسناد" وتعقبه الذهبي بقوله "أظنه موضوعاً على سعيد".

وقد قال الذهبي في الميزان (٣/ ٢٤٦) عند ترجمته لعمرو بن أوس الذي روى هذا الحديث عن سعيد ما نصه: "عمرو بن أوس يجهل حاله أتى بخبر منكر، أخرجه الحاكم في مستدرکه، وأظنه موضوعاً من طريق جندل بن والقي" ثم ذكر نص هذا الحديث. ووافقه ابن حجر في اللسان (٤/ ٣٥٤).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٨). حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة - (٧١٦/٢)

{ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى
الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ... } (هود: ٧)

وقال تعالى :

{ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ... } (الملك: ٢)

وقال تعالى :

{ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } (الكهف: ٧)

فصرح جل وعلا في هذه الآيات المذكورة بأن حكمة خلقه للخلق هي اختبارهم
وابتلاؤهم ليجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

فهذه هي الحكمة من خلقهم أولاً وبعثهم ثانياً^(١).

والنصوص من آيات وأحاديث كلها تؤكد هذا الأمر وتدل عليه، وفي الوقت نفسه
تبطل ما زعمه الغلاة من أن الغاية من خلق الخلق هي من أجل محمد صلى الله عليه وسلم.
فهذه الدعاوى يعرف بطلانها من له أدنى بصيرة في نصوص الشرع والنبي
صلى الله عليه وسلم قد أعطاه الله خصائص وفضائل كثيرة تدل على فضله ومكانته فليس
هو بحاجة إلى أن ترفع مكانته ويبين شرفه بمثل هذه الأخبار الباطلة الموضوعية.

ج- دعوى الغلاة: جواز صرف بعض جوانب العبادة له صلى الله عليه وسلم:

وقد تفنن الغلاة في هذا "فمن قائل يقول إنه يستغاث به في كل يستغاث فيه
بالخالق بمعنى أنه يطلب منه كما يطلب من الخالق.

فهؤلاء جعلوا الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب منه الناس ما يطلبونه من الله تعالى.
فأذوا الرسول وأساؤا في حقه إذ سألوه ما لا يقدر عليه مخلوق وسووه برب
العالمين وسلطوا عليه العامة، فهذا يطلب منه إنزال المطر، وهذا يطلب منه غفران الذنوب
وهذا يطلب منه النصر على الأعداء، وهذا يطلب منه أن يتزوج، وهذا يطلب منه الولد.

(١) انظر أضواء البيان (٧/ ٦٧٣ - ٦٧٧). حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة
- (٢/ ٧١٧).

وهذا يطلب منه المعيشة وهذا يطلب منه الملك، وهذا يطلب منه الولاية وهذا يطلب منه قضاء دينه، وهذا يطلب منه شفاء مريضه إلى غير ذلك من الأمور فنزلوا المخلوق منزلة الإله وطلبوا منه من جلب المنافع ودفع المضار ما لا يقدر عليه إلا الله^(١).

ومن نظم بعضهم في هذا قوله:

يا أكرم الرسل ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحوادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذا الكريم تجلى باسم منتقم
فإن لي ذمة منه بتسميتي ... محمداً وهو أوفى الخلق بالذم
إن لم يكن في معادى آخذاً بيدي ... فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم^(٢)

فنفى أن يكون له ملاذ إذا حلت به الحوادث، إلا النبي صلى الله عليه وسلم وليس ذلك إلا لله وحده لا شريك له، فهو الذي ليس للعباد ملاذ إلا إياه سبحانه وتعالى. ودعاه وناداه بالتضرع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه وسأل منه هذه المطالب التي لا تطلب إلا من الله، وذلك الشرك في الإلهية.

ومن شعر بعضهم قوله:

ماذا تعامل يا شمس النبوة من ... أضحى إليك من الأشواق في كبدي
فامنع جناب صريع لا صريخ له ... نائي المزار غريب الدار مبتعدي
حليف ودك واه الصبر منتظر ... لغارة منك يا ركني ويا عضدي
أسير ذنبي وزلاتي ولا عمل ... أرجو النجاة به إن أمال لم تجد

وجرى في شركه والى أن قال:

وحل عقدة كربى يا محمد من ... هم على خطرات القلب مطرد
أرجوك في سكرات الموت تشهدي ... كيما يهون إذ الأنفاس في سعد
وإن نزلت ضريحا لا أنيس به ... فكن أنيس وحيد فيه منفرد
وارحم مؤلفها عبد الرحيم ومن ... يليه من أجله وانعشه وافتقد
وإن دعا فأجبه واحم جانبه ... من حاسد شامت أو ظالم نكد

(١) الرد على البكري (ص ٣٣٥، ٣٣٦) بتصريف.
(٢) ديوان البوصيري (ص ٢٤٨). حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة (٢/٧١٨)

وقوله من أخرى:

يا رسول الله يا ذا الفضل يا ... بهجة الحشر جاهها ومقاما
عد على عبد الرحيم الملتجى ... بحمى عزك يا غوث اليتامى
وأقنني عثرتي يا سيدي ... في اكتساب الذنب في خمسين عاما

وقوله:

يا سيدي يا رسول الله يا أملي ... ويا موثلي يا ملاذي يوم يلقاني
هبني بجاهك ما قدت من زلل ... جودا أو رجح بفضل منك ميزاني
واسمع دعائي واكشف ما يساورني ... من الخطوب ونفسه كل أحزاني
فأنت أقرب من ترجى عواطفه ... عندي وإن بعدت داري وأوطاني
إني دعوتك من نيابتي برع ... وأنت اسمع من يدعوه ذو شأن
فامنح جنابي وأكرمني وصل نسبي ... برحمة وكرامات وغفران

لقد أنسانا هذا ما قبله، وهذا بعينه هو الذي ادعته النصرى في عيسى عليه السلام إلا أن أولئك أطلقوا عليه اسم الإله، وهذا لم يطقه ولكن أتى بلباب دعواهم وخلاصتها وترك الاسم، إذ في الاسم نوع تمييز، فرأى الشيطان أن الإتيان بالمعنى دون الاسم أقرب إلى ترويح الباطل، وقبوله عند ذوى العقول السخيفة، إذ كان من المتقرر عند الأمة المحمدية أن دعوى النصرى في عيسى عليه السلام كفر، فلو أتاهم بدعوى النصرى اسما ومعنى لردوه وأنكروه، فأخذ المعنى وأعطاه البرعى وإضرابه، وترك الاسم للنصرى وإلا فما ندرى ماذا أبقى هذا المتكلم الخبيث للخالق تعالى وتقدس من سؤال مطلب أو تحصيل مأرب، فالله المستعان^(١).

ويقول صاحب المواهب اللدنية: وينبغي للزائر-لقبره- أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل والتوجه به لا فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه فإن كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه للنبي صلى الله عليه وسلم واقع

(١) تيسير العزيز الحميد (١٨٩، ١٩٠).

في كل حال كل خلقه وبعده في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة^(١).

ومن هؤلاء من يرى أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الحج إلى الكعبة وأن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستغاثة به أفضل من الاستغاثة بالله تعالى ودعائه^(٢).

ومنهم من يظن أن الرسول يعلم ذنوبه وحوائجه وإن لم يذكرها وأنه يقدر على غفرانها وقضاء حوائجه ويقدر على ما يقدر عليه الله ويعلم ما يعلمه الله^(٣).

ومنهم من يقول "إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخلو منه زمان ولا مكان" يريدون بذلك أنه ما من زمان إلا وهو فيه موجود، ولا من مكان إلا هو فيه موجود^(٤).

ومنهم من يقول: "إنه يحضر في كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه وأنه يتصرف حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته"^(٥).

ومنهم من يقول في قوله تعالى:

{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} (الفتح: ٨-٩)

يقول: إن الرسول هو الذي يصبح بكرة وأصيلا .

ومنهم من يقول: اسقط الربوبية وقل في الرسول ما شئت.

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ...	واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ...	وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له ...	حد فيعرب عنه ناطق بفم
لو ناسبت قدره آياته عظما ...	أحيا اسمه حين يدعى دارس الرم ^(١)

(١) انظر الأنوار المحمدية (ص ٦٠٤).

(٢) الرد على البكري (ص ٣٤٩).

(٣) الرد على البكري (ص ٣٠). حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة-(٧٢٠/٢).

(٤) غاية الأمانى (١/٤٨).

(٥) هذه هي الصوفية (ص ٨١).

ومنهم من يقول نحن نعبد لله ورسوله فيجعلون الرسول معبوداً^(٢).
بل لم يكتف غلاة الصوفية بهذا القدر حتى اعتقدوا أنه هو الله سبحانه ذاتاً
وصفة^(٣).
وكتب أصحاب البدع وعباد القبور مملوءة بالكثير من أنواع هذا الغلو وألوانه
والذي لا يشك الموحد بكذبه وبطلانه^(٤).

(١) ديوان البوصيري (ص ٢٤١).
(٢) الرد على البكري (ص ٢١٩).
(٣) هذه هي الصرقيّة (ص ٧٤ - ٧٥).
(٤) حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة - (٢ / ٧٢١).